الخطاب الاختتامي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام في الجلسة السنوية لقاديان

بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٩م

في قاعة مسرور بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد أعلن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود الذي تنبأ النبي ﷺ بمجيئه، وأنه لن يأتي أيّ مسيح ولا مهدي آخر من السماء، لأن هذا هو الوقت المحدد لمجيء المسيح الموعود الذي أرسلني الله تعالى فيه. وقد ظهرت في هذا الزمان جميع العلامات التي أشار إليها النبي ﷺ، وتحققت جميع النبوءات التي ذكرها النبي ﷺ كعلامات للمسيح.

وقد دعا المسيح الموعودُ عليه السلام العالَـمَ، وخاصة المسلمين، للنظر في نبوءات النبي ﷺ والتفكر فيها واستيعابها جيدا لأن فيها تكمن السعادة ولأن فيها تنفيذاً لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقد أوضح عليه السلام قائلاً: لا تتهموني بأني أهين النبي ﷺ، والعياذ بالله. فهذه تهمة باطلة افتُريتْ عليَّ. إنما جئت خادما للنبي ﷺ لنشر دينه. وقد أُشرِب قلبي عشقه وحبه ﷺ. وقد عبّر عليه السلام عن هذه المشاعر في كتبه الكثيرة وخطاباته ومجالسه وحياته الخاصة. وأظهر من العشق والمحبة للنبي ﷺ ما لا مثيل له، ولا نظير في أي مكان آخر. وبهذا الشأن سأقدم بعض المقتبسات من كلامه عليه السلام التي تعكس العشق والمحبة التي كان يكنّها للنبي ﷺ. والذين يتهمون المسيح الموعود عليه السلام وأتباعه بإهانة النبي ﷺ فإنهم يلصقون به وبأتباعه تهمة شنيعة للغاية وباطلة تماما.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: ”إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي الذي اسمه محمد (عليه ألف ألف صلاة وسلام). ما أرفعَ شأنَه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تُقَدِّر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. لقد أحبَّ اللهَ حبًّا جمًّا،

وذابت نفسه إلى أقصى الحدود شفقةً على خلق الله، لذلك فإن الله العالِم بسريرته فضَّله على الأنبياء كلهم، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد. هو ﷺ المنبع لكل فيض. ومن ادعى بأية فضيلة من غير الاعتراف بأنه قد نالها بواسطة النبي ﷺ، فليس هو بإنسان، وإنما هو ذرية الشيطان؛ لأنه ﷺ قد أُعطي مفتاحًا لكل خير وكنـــزا لكل معرفة. إن الذي لا ينال عن طريقه ﷺ فهو محروم أزلي. من نحن وما هي حقيقتنا؟ سنكون من الكافرين بنعمة الله ﷻ إن لم نعترف بأن التوحيد الحقيقي إنما وجدناه بفضل هذا النبي، وأن معرفة الإله الحيّ إنما حصَّلناها بواسطة هذا النبي الكامل وبنوره، و لم نتشرف بمكالمة الله ومخاطبته التي نحظى من خلالها برؤية وجهه ﷻ إلا بفضل هذا النبي العظيم. إن أشعة شمس الهداية هذه تقع علينا كالنور الساطع، ونستطيع أن نبقى مستنيرين ما دمنا واقفين إزاءها." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية المجلد٢٢)

ويقول عليه السلام في مكان آخر: "عندما ننظر بعين الإنصاف نجد نبيا عظيما واحدا حائزا الدرجة العليا في سلسلة النبوة كلها ونبيا حيا واحدا وأحبَّ الأنبياء إلى الله تعالى، بطلا واحدا، أي سيد الأنبياء وفخر الرسل وتاج المرسلين الذي اسمه محمد المصطفى وأحمد المجتبى ﷺ، الذي لو سار أحد في ظله عشرة أيام لنال نورا ما كان لِيُنال إلى ألف سنة.

ما هذه الكتب التي تريد أن تجعلنا مردودين ومخذولين ومظلمي القلوب إذا اتبعناها؟ فهل تجدر أن تسمى حيةً النبوة التي في ظلِّها نموت نحن؟ (أي كتب الأديان الأخرى). فاعلموا يقينا أن كل هؤلاء موتى، فهل يقدر الميت على أن ينور ميتا آخر"؟ (أي الأديان الأخرى لم تعُد صالحة الآن).

ويقول عليه السلام في السياق نفسه مبيّنا مكانة النبي ﷺ ومرتبته: "ألا إن وصيتي الأخيرة هي أننا اكتسبنا كل نور باتباع هذا الرسول الأمي، وكل من يتّبعه ينال (ذلك النور) هو الآخر، وسيحرز قبولا بحيث لن يبقى أمامه مستحيل. إن الإله الحق الذي يخفى على الناس سيكون له، وإن جميع الآلهة الباطلة ستُداس تحت أقدامه وتمزَّق، سيكون مباركا في كل مكان وستكون معه القوى الإلهية". (السراج المنير، الخزائن الروحانية المجلد١٢)

أقول: فليقل الآن معارضونا، هل يعتقدون حقاً بهذا الإله الحي كإله حقيقي؟ إذ يبدو أعمال أغلبيتهم أن لديهم آلهة أخرى وقد نسوا الإله الحقيقي. فبدلاً من توجيه الاتهامات للجماعة الأحمدية يجب أن يتفكروا وينظروا ما هي الحقيقة؟

لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام في أحد المواضع إلهاماً له موضحا هذه الموضوع، فدعوني أذكر أولاً هذا الإلهام، يقول عليه السلام بهذا الشأن:

لقد تلقيتُ إلهاما: "صَلِّ على محمد وآل محمد سيدِ وَلَدِ آدمَ وخاتَمِ النبيين ﷺ. وفيه إشارة إلى أن كل هذه المراتب والأفضال والعنايات إنما هي بسببه وجزاءٌ على حبنا له ﷺ. سبحان الله! ما أسمى المكانةَ التي يحظى بها سيد الكون ﷺ عند الحضرة الأحدية، وما أكثرَه قربًا لديه سبحانه وتعالى، حيث إن ﷺ يصبح محبوبًا عند الله تعالى، وإن خادمه ﷺ يُصبح مخدوم العالم.

قد تذكرتُ هنا أنني صليت على النبي ﷺ في إحدى الليالي بكثرة حتى تعطرَ به القلب والروح، فرأيت في الليلة نفسها أن الملائكة قد أتوا بيتي بقِرَبٍ من نور في شكل ماء زلال، وقال أحدهم: هذه هي نفس الصلوات التي صليت بها على محمد ﷺ. كذلك تذكرتُ الآن حادثًا غريبًا آخر بأني تلقيت مرة إلهامًا فحواه أن أهل الملأ الأعلى في خصام؛ أي أن مشيئة الله تعالى تهيج لإحياء الدين، ولكن لم ينكشف على الملأ الأعلى بعد تعيين الشخص المحيي، فلذلك هم يختلفون. وفي أثناء ذلك رأيت في الرؤيا أن الناس يبحثون عن هذا المحيي، وأتى أحدهم أمام هذا العبد المتواضع وقال مشيرا إليّ: "هذا رجل يحب رسولَ الله ﷺ". وكان المراد من قوله هذا أن أعظم شرطٍ لهذا المنصب هو حب النبي ﷺ وهذا الشرط متوفر في هذا الشخص. وأما أمرُ الله تعالى، في الإلهام المذكور أعلاه، بالصلاة على آل النبي ﷺ فالسرُّ فيه هو أن حبّ أهل البيت وثيق الصلة بنزول فيوض الأنوار الإلهية، وأن الذي يدخل في زمرة المقربين عند الحضرة الأحدية إنما ينال مما تركه هؤلاء الطيبون الطاهرون، ويصبح وارثًا لهم في جميع العلوم والمعارف".

ويقول عليه السلام في مكان آخر في ذكر عظمة القرآن الكريم ومكانة النبي ﷺ ومرتبته:

"من قوى القرآن الكريم العظيمة أن متّبعه يُعطى معجزات وخوارق، وتكون بكثرة فلا يسع الدنيا أن تبارزها. فهذا ما أدّعيه وأقول بصوت عال بأنه لو اجتمع معارضيّ كلهم من الشرق والغرب في ميدان واحد وأرادوا أن يبارزوني في الآيات والخوارق فسأكون غالبا على الجميع بفضل الله وتوفيقه. ولن يكون سبب هذه الغلبة لأن في روحي قوة أكبر بل لأن الله تعالى أراد أن أُثبت قوة عظيمة في كلامه القرآن الكريم وأُثبت قوة روحانية ومرتبة عليا لرسوله محمد المصطفى ﷺ. وقد وفقني عزّ وجلّ لهذا بمحض فضله وليس نتيجة مزية في شخصي، بل لأنني أتّبع نبيه العظيم الشأن وكلامه القوي وأحبه. وأؤمن بكلامه الذي اسمه القرآن الكريم وهو مَظهر القوى الربانية." (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية المجلد٢٣)

أقول: لقد أثبت المسيح الموعود عليه السلام أفضلية النبي ﷺ أمام معارضي الإسلام في كل حين وآن. هذا المقتبس الأخير الذي قرأته مأخوذ من كتابه الذي ألّفه في الفترة الأخيرة من حياته بل هو كتابه الأخير.

فالدعوى التي نشرها فيه قد فند بها اتهام المعارضين بأنه كان قد أبدى هذا الحب في أول الأمر ونفاه بنشر دعواه لاحقا، والعياذ بالله. كلا ثم كلا، فلم ينفِ قط مكانة النبي ﷺ ومرتبته. وهذا المقتبس بالذات يثبت أنه عليه السلام كان قد بلغ ذروة حب النبي ﷺ حتى في أواخر حياته.

ثم قال عليه السلام: "أقول صدقا وحقا وبناء على تجربتي الشخصية إنه لا أحد يمكن أن يتمكن من إحراز حسنة حقيقية أو ينال رضا الله تعالى، ويستطيع أن يحظى بتلك الإنعامات والبركات والمعارف والحقائق والكشوف التي تُنال بعد الوصول إلى أعلى درجة من تزكية النفس ما لم يَفنَ في اتباع رسول الله ﷺ. وهذا ما يتبين من كلام الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ . وأنا الدليل العملي والحي على إعلان الله هذا. أي إذا كنتم تكنّون حبا لله سبحانه وتعالى فاتبعوني، فسوف يحبكم الله أيضا".

فقال عليه السلام هذا هو السر الذي اكتشفته، وإذا عمل المرء بهذا السر نفسه فيمكن أن ينال قرب الله.

ثم قال حضرته عليه السلام: "لا يزال الله سبحانه وتعالى يُخجل ويُخزي أعدائي السفهاء بإظهار أنواع الآيات وصنوفِ الخوارق يوميًّا. إنني أقول مقسما به نفسه، أنه تعالى كما شرَّف بالمكالمة والمخاطبة إبراهيمَ وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى والمسيح بن مريم، ثم في الأخير كلَّم نبيَّنا ﷺ وكان الوحي النازل عليه أوضحَ وأطهرَ، كذلك تمامًا قد شرَّفني أنا أيضًا بمكالمته ومخاطبته. إلا أنني وجدت هذا الشرف لاقتدائي الكامل بسيدنا محمد ﷺ فقط. فلو لم أكن من أمته ﷺ ولم أتَّبعه لما حظيتُ بشرف المكالمة والمخاطبة هذا قط، حتى لو كانت أعمالي مثل جبال الدنيا كلها. لأن النبوة كلها قد انقطعت ما عدا النبوة المحمدية. لا يمكن أن يأتي نبي بشرع جديد، ولكن يمكن أن يأتي نبي بغير شرع جديد ولكن بشرط أن يكون من الأُمة أولا. فبناءً على ذلك أنا من الأُمة ونبي أيضًا. وإن نبوتي، أعني فوزي بالمكالمة والمخاطبة الإلهية، ظِلٌّ لنبوة النبي ﷺ ولا شيء من دون ذلك. إن النبوة التي ظهرت فيّ هي النبوة المحمدية نفسها. ولما كنت مجرد ظلّ له ومن أمته، فلا ينال ذلك من شأنه ﷺ مطلقا. وهذه

المكالمة والمخاطبة التي أنالُها يقينيةٌ، ولو ساورني في ذلك شكٌّ لحظةً لصرتُ كافرا ولحبطتْ آخرتي".

فهؤلاء المعارضون يعترضون على قوله: "إنني ظلٌّ للنبي ﷺ والنبوة التي ظهرت فيّ هي النبوة المحمدية نفسها". فليوظفوا العقل قليلا، هل يعني قولُه هذا سوى أن الله ﷻ قد أرسله بحسب وعده لنشر النبوة المحمدية والشريعة المحمدية، وإن الله ﷻ قد هيأ الوسائل لنشر شريعة النبي ﷺ نفسها بواسطة المسيح الموعود، فكانت مهمة نشر الإسلام قد عُهدت إلى حضرته. وهذا كان وعدًا من الله في قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، وإن تقدُّم الجماعة يُثبت أن الله ﷻ لا يؤيد دعوى المسيح الموعود فحسب بل ينصره أيضا، وهو الذي قد تولى أمر هذه الجماعة، وإلا كان المعارضون قد قضوا عليها من زمان، لأنهم عاقدون العزم على ذلك بشدة.

ثم يقول حضرته في موضع مبينا مرتبة النبي ﷺ ومقامه: "إن الإنسان الذي أبدى بذاته وصفاته وأفعاله وأعماله وبقواه الروحانية المقدسة- المتدفقة كالنهر- نموذجَ الكمال التام علما وعملا وصدقا وثباتا وسمي إنسانا كاملا، الذي كان أكمل إنسان وأكمل نبيّ، وجاء ببركات كاملة، فظهرت القيامة الأولى في الدنيا بسبب البعث والحشر الروحانيَين، وببعثته عاد العالم الميت بأسره إلى الحياة، هو النبي المبارك سيدنا خاتم الأنبياء، إمام الأصفياء، ختم المرسَلين فخر النبيين جناب محمد المصطفى ﷺ. فيا ربنا الحبيب أنزل على هذا النبي الحبيب رحمة وبركة لم تُترلهما على أحد منذ بدء الخليقة. فلو لم يأت هذا النبي العظيم في الدنيا لما كان عندنا دليل على صدق بقية الأنبياء الصغار الذين جاؤوا إلى الدنيا مثل يونس وأيوب والمسيح ابن مريم وملاخي ويحيى وزكريا وغيرهم وإن كانوا كلُّهم مقرّبين ووجهاء وأحباء الله. فمن منّة هذا النبي أنهم عُدُّوا صادقين في الدنيا. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وآله وأصحابه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

ثم كتب في موضع آخر: "إنما الطريق الوحيد لإرضاء الله ﷻ هو الاتباع الحق للنبي ﷺ". والملاحظ أن الناس يتبعون أنواع التقاليد، حين يموت أحدهم يتبعون أنواع المستحدثات والتقاليد مع أنه ينبغي أن يدعوا للميت. فقولوا هل الذين يتبعون التقاليد والذين يعملون بأنواع خرافات المرشدين والزهاد ويسجدون على القبور هل هم يرتكبون الإساءة أم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الذي كان قد جاء للقضاء على هذه البدع؟

يقول حضرته عليه السلام إن اتباع التقاليد لا يؤدي إلى معارضة النبي ﷺ فحسب بل يؤدي إلى الإساءة إليه ﷺ أيضا. أي أن ما أحدثوا من أنواع التقاليد لا تكمن فيه معارضةُ النبي ﷺ بل الإساءة إليه ﷺ أيضا. فالذين سنُّوا القوانين عن الإساءة إلى النبي ﷺ هم الذين يتورطون في هذه المستحدثات أكثر. وذلك لأنهم لا يعدّون كلام النبي ﷺ كافيا لهم، فلو وجدوا فيه الكفاية لما اخترعوا من عندهم هذه العادات.

فليقل متبعو التقاليد مَن الذي يرتكب الإساءة هل الذين آمنوا بالمسيح الموعود عليه السلام أم الذين رفضوه.

يعترض المعارضون بأن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد رفض بدعواه النبوةَ كونَ النبي ﷺ خاتم النبيين والعياذ بالله، وأساء إليه ﷺ وأن الأحمديين الذين آمنوا به هم أيضا يسيئون إليه ﷺ من هذا المنطلق ومن ثم يستحقون العقوبة. فقد رددت عليه سلفا. وقدمت بعض المقتبسات من كلامه، حيث قال عليه السلام إن كل ما ناله فإنما ببركة اتباعه للنبي ﷺ فقط، لا بأعماله. وقد رد عليه حضرته أيضا في موضع وأثبت أننا لا نرتكب الإساءة إلى النبي ﷺ بل أنتم تحطون شأن النبي ﷺ وتسدون جميع الأبواب للدرجة التي يمكن أن ينالها أي إنسان في العالم بواسطة مقامه وبركته ﷺ، فقد قال عليه السلام:

"يقول هؤلاء إن باب المكالمات والمخاطبات الإلهية مغلَق لأن الله تعالى قد قال في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي لما كان النبي ﷺ خاتم النبيين فقد انقطع هذا الفيض والفضل بعده. ولكنني أتأسف على عقولهم وعلمهم (إذ هُم بهذه الأقوال يقللون فيوض النبي ﷺ والعياذ بالله ويسيئون إليه ﷺ)، لأن النبي يُبعث لينشأ يقينٌ وبصيرة وإيمان حُلوٌ بالله تعالى، وليشاهد المرء تجلي قدرات الله وتصرفاته وصفاته بوضوح. ومعلوم أن وسيلتها أيضا هي مكالماته عزوجل ومخاطباته وخوارقه، ولكن إذا أُغلق هذا الباب فما الفائدة من بعثته أصلا؟

أقول بكل أسف إنهم لم يقدروا النبي ﷺ و لم يدركوا شأنه العظيم قط وإلا لما اخترعوا أفكارا سخيفة من هذا القبيل. (يقول حضرته إنكم بهذه الأقوال تحطون من شأن النبي ﷺ ومن ثم ترتكبون أنتم الإساءة إليه ﷺ). لأن الله تعالى قد نفى في القرآن الشريف أولاده ﷺ الماديين، وهؤلاء ينفون وجود أولاد روحانيين، فماذا بقي بعد ذلك؟".

قال عليه السلام: لماذا تأتون بأقوال خاطئة؟ الحق أن الله تعالى بيّن في هذه الآية الكمالَ العظيم للنبي ﷺ والتأثير الهائل لقوته القدسية أن سلسلة أولاده الروحانيين وتأثيراته الروحانية لن

تنتهي أبدا. وإذا أمكن لأحد أن ينال فيضا أو بركة فلا يمكنه ذلك إلا إذا تفانى في اتّباعه ﷺ كليا ونال درجة الفناء في الرسول وإلا فلا. وإذا ادّعى أحد النبوة بغير ذلك فهو كذّاب لأن باب النبوة المستقلة مسدود، ولا يمكن أن يأتي نبي بدون اتباع النبي ﷺ والعمل بشريعته ودون الفناء في الرسول ﷺ، فلا يمكن أن يأتي نبي مستقل ومع شريعة. غير أن باب النبوة لم يُغلق على الفانين في الرسول من أفراد أمته وأتباعه الكمّل. لذلك جاء في البراهين الأحمدية إلهام نصه: "كل بركة من محمد فتبارك من علّم وتعلّم." أي أن شرف المخاطبات والمكالمات الذي أعطيتُه إنما هو ببركة اتباعي للنبي ﷺ فقط. ومن أجل ذلك تشرف بها.

أي أن النجاح الذي يكتب الله لي في شتى المجالات، أو أن المكالمة والمخاطبة التي يشرفني الله بها، كلُّ هذا ليس إلا ببركة النبي ﷺ، (أي أن الله يؤيده وينصره، وقد سبق منه الوعد بإكمال نشر الهدى في زمن المسيح الموعود عليه السلام وبالفعل إن الله تعالى يقوم بإكمال نشر ذلك الهدى، هديِ النبي محمد ﷺ، في هذا العصر، على يد المسيح الموعود الخادمِ البار الصادق للنبي ﷺ. يقول عليه السلام:

"إن كل هذه التأثيرات والبركات والأنوار إنما هي للنبي ﷺ في الحقيقة، أتلقاها منه وأنشرها بين الناس".

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:"أقول بكل يقين وتحدٍّ إن كمالات النبوة قد خُتمت على النبي ﷺ، وإنه لكاذبٌ ومفترٍ مَن يؤسّس جماعة خلافا للنبي ﷺ، أو يقدّم حقيقة من الحقائق، منفصلا عن نبوته ﷺ، وتاركًا ينبوع نبوته ﷺ. أقول بمنتهى الصراحة والوضوح إنه لملعونٌ الذي يؤمن بعد النبي ﷺ بنبي سواه ناقضا ختم نبوته ﷺ. ولذلك يستحيل أن يأتي بعد رسول الله ﷺ نبي ليس معه خاتَم النبوة المحمدية، وهذا هو الخطأ الذي يرتكبه المسلمون الذين يخالفوننا الرأي، إذ يُنزلون نبيا إسرائيليا من السماء، ناقضين خاتم ختم النبوة. (أي يقولون إن عيسى عليه السلام سيأتي نازلا من السماء) أما أنا فأقول إن هذا لَتَجلٍّ بسيطٌ من معجزات القوة القدسية والنبوة الأبدية لرسول الله ﷺ إذ جاء المسيح الموعود في أمته بعد مرور ١٣٠٠ عام حاملاً نفسَ خاتَم نبوته ﷺ، وكلُّ ذلك كان ببركة تربيته وتعليمه ﷺ. إذا كانت هذه العقيدة كفرا فأنا أُحبّ هذا الكفر. ولكن الذين قد أظلمتْ عقولهم ولم يُعطَوا نصيبا من نور النبوة لا يفقهون هذا الأمر ويحسبونه كفرا، مع أن هذا يُثبت كمالَ وحياةَ النبي ﷺ".

ثم يقول عليه السلام: "ما حظيت بهذا الشرف العظيم إلا ببركة اتّباعي لنبي لا تزال الدنيا غافلة عن سموّ مدارجه ومراتبه، ألا وهو سيدنا محمد المصطفى ﷺ. ما هذا الظلم العظيم إذ أن

بعض الجهلة والحمقى يقولون إن عيسى حي في السماء، أما أنا فأرى أمارات الحياة في شخص سيدي ﷺ (يقول عليه السلام أما أنا فلا أرى علامات الحياة إلا في النبي ﷺ)، إن ذلك الإله الذي لا تعرفه الدنيا قد عرفناه بواسطة هذا النبي ﷺ، وإن باب الوحي المغلَق على الأقوام الأخرى قد فُتح لنا ببركة هذا النبي ﷺ، وإن المعجزات التي ليست بأيدي الأقوام الأخرى منها إلا القصص والأساطير، قد رأيناها ببركة هذا النبي ﷺ، وقد وجدنا هذا النبي يتبوأ مقاما ما بعده مقام، ولكن الغريب أن الناس غافلون عن ذلك".

ثم يبين المسيح الموعود عليه السلام عقيدته وقال: "لا كتابَ لنا إلا القرآن الكريم، ولا رسولَ لنا إلا محمد المصطفى ﷺ، ولا دينَ لنا إلا الإسلام، ونؤمن بأن نبيَّنا ﷺ خاتَمُ الأنبياء، وأن القرآن الكريم خاتَمُ الكتب. فلا ينبغي جعْلُ الدين لعبة الأطفال. تذكّروا أننا لا ندّعي شيئًا سوى أننا خدام الإسلام، وليس لنا أي دعوى خلاف ذلك، فمن نسب إلينا غير ذلك فإنما يفتري علينا. إنما نحظى بفيض البركات بواسطة نبيّنا الكريم ﷺ، وننال فيض المعارف بواسطة القرآن، فلا يجوز لأحد أن يعتقد في قلبه بغير ذلك، وإلا سيُسأل عن ذلك عند الله تعالى. لو لم نكن خدامًا للإسلام فأمرنا كله عبثٌ ومردود ويستوجب العقاب".

ولكن التأييداتِ السماوية والنصرة الإلهية التي تحالف الجماعة الأحمدية، ومشاهدَ التأييدات التي يرينا الله إياها، وانضمامَ الآلاف بل مئات الآلاف إلى جماعتنا في كل عام، والتوجيهَ الإلهي المباشر الذي يوفق به الله الناسَ للإيمان بالمسيح الموعود، كل ذلك لدليلٌ بيّنٌ على أنه صادق في دعواه، وأن تأييد الله ونصره حليفه. يكتب لي الناس الرسائل من آلاف الأماكن من روسيا وأمريكا والبلاد العربية والأفريقية والآسيوية، ويذكرون في رسائلهم كيف هداهم الله تعالى إلى تصديق المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وذلك لأنه هو الإنسان الذي يخدم دين النبي ﷺ حقًا وينشره في العالم بكل صدقٍ وكما هو حقه. نجد في حياته عليه السلام مئات الواقعات التي تؤيد ما قاله أو كتبه، وأقرأ بعضها على مسامعكم في مناسبات شتى.

ذات مرة جرت بين المسيح الموعود عليه السلام والمسيحيين مناظرة، وبعد انتهائها دعاه المسيحيون إلى مأدبة، ولكنه رفضها ليس إلا لأنهم كانوا يسيئون إلى نبينا ﷺ. في شهر يونيو عام ١٨٩٣ جرت مناظرة عظيمة حاسمة بين المسيحيين والمسلمين استمرت لخمسة عشر يوما. وبعد انتهاء المناظرة قام الدكتور هنري مارتن كلارك، المشرف الأعلى على المناظرة من قبل المسيحيين، بإعداد مأدبة شاي، ودعا هؤلاء المسيحيون سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وأصحابه أيضا إلى المأدبة، ولكنه رفض دعوتهم هذه لسبب واحد حيث قال: "إن هؤلاء يسيئون إلى

النبي ﷺ ويهينونه –معاذ الله– ويدعونني إلى مأدبة الشاي. إن غيرتي الدينية تمنعني من الجلوس معهم. نعم الجلوس معهم من أجل إبطال عقائدهم الخاطئة ممكن، (أي أن الجلوس معهم في مجلس المناظرة لإبطال عقائدهم شيء آخر) ولكنا لا نستطيع الأكل والشرب معهم وهم الذين يسبّون ويشتمون نبينا ﷺ".

لا شك أن الأعمى عقليا هو مَن يسمع هذه الواقعة ومع ذلك يصدق بأن المسيح الموعود عليه السلام كان –معاذ الله– يسيئ إلى رسول الله ﷺ، أو أن أحدا من أبناء جماعته يؤمن في قلبه – ولو مثقال ذرة– بأن النبي ﷺ أدنى درجة –بأي شكل من الأشكال– من المسيح الموعود.

وهناك واقعة أخرى تدل على عشق المسيح الموعود لسيده المطاع ﷺ، وهي تعبر عما يختلج في قلبه تجاهه ﷺ من مشاعر الحب الجياشة. لو فعل المرء شيئا كهذا أمام الناس فيمكن لأحد أن يقول إنه يرائي الناس، ولكن اسمعوا الآن واقعة للمسيح الموعود عليه السلام وقعت داخل المسجد على انفراد، وهي تدل على مدى ما يكنه للنبي ﷺ من مشاعر الحب والعشق.

روى حضرة الدكتور مير محمد إسماعيل: قال المولوي عبد الكريم المرحوم: دخلتُ المسجد المبارك ذات مرة وقت الظهيرة، فإذا بالمسيح الموعود عليه السلام يمشي فيه وحده وهو يتغنى بصوت خافت البيتَ التالي لحسان بن ثابت رضي الله عنه:

كنتَ السوادَ لناظري فعمِي عليكَ الناظرُ

مَن شاء بعدك فليمتْ فعليك كنتُ أحاذرُ

فلما سمع عليه السلام وقع أقدامي أنزل يده التي كان بها منديل غطى به وجهه،أقول: كان حسان رضي الله عنه من الصحابة وكان كشاعر البلاط للنبي ﷺ، وقد أنشد هذا البيت عند وفاة النبي ﷺ ومعناه: كنتَ حدقةَ عيني يا رسول الله، وقد عميتْ عيني بموتك، فليمت الآن مَن شاء فإنما كنت أخشى موتك فقط.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد: ليس سهلاً تقديرُ حبِّ صاحب هذا البيت، ولكن مَن يسعه سبْرُ أغوار بحر المحبة التي كنّها شخصٌ كان يردد هذا البيت بعد وفاة النبي بـــ ١٣٠٠ عامٍ، على انفراد حيث لا يراه أحد إلا الله، فتنهمر عيناه بالدموع بغزارة؟! مع أن ذلك الشخص ليس من الذين تسيل الدموع من عيونهم على كل صغيرة وكبيرة، بل إنه ذلك الشخص الذي صُبّت عليه جبال المصائب، وهبت به عواصف الهموم والآلام، ومع ذلك لم تعبّر عيناه قطّ عما يختلج في قلبه من مشاعر.

وهناك رواية أخرى عن "بير سراج الحق" تتعلق بمناسبة أخرى حيث قال: قرأ المسيح الموعود عليه السلام على مسامعي هذا البيت: كنت السواد لناظري، وبعد ذلك قال: ليتني كنتُ صاحبَ هذا البيت على أن يأخذ حسان كل أبياتي مني. قال ذلك وفاضت عيناه بالدموع. ثم ردّد عليه السلام هذا البيت مرارًا.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد: إن ما قاله المسيح الموعود عليه السلام لبير سراج الحق بصدد بيت شعر لحسان بن ثابت، هو تعبير عن الكيفية الخاصة التي استولت على قلبه عليه السلام في تلك المناسبة، وإلا فإنه يتجلى من شعر المسيح الموعود عليه السلام من الحبّ للنبي – ﷺ ما لا نجد له نظير عند أحد، ولا نجد في كلام أحدٍ آخر ذلك المستوى العالي للحب الذي نجده في كلامه عليه السلام تجاه النبي ﷺ.

هل مثل هذا الإنسان يمكنه أن يسيء إلى النبي ﷺ؟ ليت عميان القلوب هؤلاء يعودون إلى الصواب.

كان حبه وعشقه لسيدنا محمد ﷺ هو الذي جعله يُعبر عن محبته لأهل العرب بطريقة استثنائية في موضع، وينبغي أن يكون هذا كافيًا لفتح أعين المتهمين له، كما أن العالم العربي بحاجة ماسة لفهم ذلك. لقد كتب حضرته هذه الرسالة بالكلمات العربية ولكنني سأقدم ترجمتها (الأردية). كل حرف من هذه الرسالة يعبر عن حبه وعشقه لذات سيدنا محمد ﷺ المباركة. يقول:

"السلام عليكم، أيّها الأتقياءُ الأصفياء، من العَرب العُرَباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرض النبوّة وجيرانَ بيتِ الله العظمى. أنتم خير أُمم الإسلام وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقومٍ أن يبلغ شأنكم. قد زِدتم شرفًا ومجدًا ومَنْزلا. وكافيكم من فخر أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وَطنًا ومأوًى ومولدا. وما أدراكم مَنْ ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتَم الرّسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كُلِّ من دَبّ على رِجْلين ومشى. وقد أدرك وحيُه كُلَّ فائتٍ من رموزٍ ومعانٍ ونِكاتٍ عُلَى. وأحيا دينُه كلّ ما كان ميّتًا مِن معارف الحقّ وسنن الهدى. اللّهم فصَلِّ وسلّم وبارِكْ عليه بعدد كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعددِ كلّ ما في السماواتِ، وبعدد كل ما ظهر واختفى، وبلِّغْه منا سلامًا يملأ أرجاء السماء. طوبى لقومٍ يحمل نِيرَ محمدٍ ﷺ على رَقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه وفي حُبّه فنى. يا سُكّانَ أرض (يخاطب عليه السلام هنا العرب ويقول) يا سُكّانَ أرض أَوطأته قدمُ المصطفى.. رحمكم الله

ورضي عنكم وأرضى.. إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يا عباد الله. وإني أحِنّ إلى عِيان بلادِكم، وبركاتِ سوادكم، لأزور موطئ أقدام خير الورى، وأجعل كُحْلَ عيني تلك الثرى، ولأزور صلاحها وصلحاءها". (التبليغ)

هذه هي حالة قلبه التي عبر عنها. نتمنى أن يوفَّق مسلمو العرب اليوم للعمل بهذه النصيحة وأن يجعلوا أعمالهم تليق بأن يكونوا مؤمنين حقيقيين بالنبي ﷺ ومن المتبعين الحقيقيين له، وأن يكونوا من العاملين الصادقين بشريعته، فحينها فقط يمكنهم استعادة مكانتهم التي فقدوها.

وفي موضع آخر، عندما واجه شتائم الأعداء، عبر عن مشاعره القلبية قائلًا:

"ويشهد القلب باكيا أنهم لو قَتلوا أولادنا أمام أعيننا وقطَّعوا أعزاءنا وأقاربنا الأقربين في الدنيا إربا وقتلونا أيضا بالخزي والإهانة وغصبوا أموالنا- فوالله ثم والله لما أصابنا حزنٌ وما تعذّبت قلوبنا كما تعذّبت بسماع سبهم وإساءتهم إلى النبي ﷺ". (مرآة كمالات الإسلام)

هل هذه كلمات شخص مسيء؟ فليفكر المتهمون وليتدبروا. فيا معارضي الأحمدية الذين أنتم من أمة محمد المصطفى ﷺ وتدَّعون حبه، تفكروا وتأملوا هل معارضتكم بلا سبب قد تكون سببًا لغضب الله تعالى. انظروا في الظروف الحالية، هل سبب ما تواجهونه من كل هذا العداء هو أعمالكم؟ هل هذه نتائج ما تفعلون؟ فكروا قليلًا.

أما فيما يتعلق بعلاقتنا بالمسلمين وعاطفتنا تجاههم، فنحن نعمل بقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في بيته الشعري:

يا قلبي يجب أن تراعيهم أيضًا وانظر إليهم بحب وعطف، فهم في نهاية المطاف يدَّعون حب رسولي ﷺ.

نحن نحب كل مسلم من هذا المنطلق، وندعو لبقائهم، ونبذل ما نستطيع من جهد، ونحمل لهم المشاعر الطيبة والعواطف النبيلة. وندعو لهم، لكن عليهم أيضًا أن يبذلوا جهدًا وأن يستمعوا لرسالة العبد الصادق للنبي ﷺ الذي أرسله الله تعالى، بدلًا من تكفيره، وأن يحاولوا فهم رسالته. عليهم ألا يتسرعوا في إصدار فتاوى التكفير.

على أي حال، سنظل ندّعي هذه المحبة للمسلمين لأنهم يدّعون محبة النبي ﷺ حتى لو كان ادعاءً ظاهريًّا. نسأل الله تعالى أن يهب الأمة المسلمة العقل والوعي وأن يكفوا عن المعارضة بلا سبب. عليهم أن يفكروا: ألن يسألهم الله تعالى عن معارضتهم بلا تحقيق؟ لأن الأغلبية تعارض فقط بناءً على قول العلماء دون تحقيق، والعلماء أنفسهم لا يريدون القراءة ولا

التفكر. لو أنهم تفكروا ثم رأوا أن في كلام هذا المدّعي إساءة للرسول، وبعد التفكر إذا لم يفهموا الكلام، فحتى حينها لم يكن عليهم أن يبدؤوا بالمعارضة فقط، بل كان ينبغي أن يسألوا الأحمديين. بعد ذلك إذا رأوا أن كل الأمور غير جائزة ومخالفة للقرآن والحديث والشريعة وأقوال النبي ﷺ، فحينها كان لهم الحق في المعارضة. لكن هل شققتم قلوبنا لتروا ما إذا كان فيها حب وعشق للنبي ﷺ أم لا، وما مدى هذا الحب؟ هل رأيتم إلى أي مدى نؤمن بشريعته الأخيرة؟ هل رأيتم كيف نحاول العمل بكل أمر من القرآن الكريم ونؤمن ونوقن به؟ هل رأيتم كيف نبذل كل جهد ممكن لإقامة توحيد الله في العالم؟

ففكروا قليلاً، فكروا قليلاً. نسأل الله تعالى أن يهب المسلمين العقل ليفكروا هكذا، وأن يوفقنا نحن أيضا لنثبت ادعاء حبنا للنبي ﷺ بكل أعمالنا، وأن نتفكر في ما وضّحه المسيح الموعود عليه السلام في مواضع كثيرة وأن نزداد في حبنا وعشقنا لرسول الله ﷺ، وألا تكون أقوالنا مجرد ادعاءات فارغة.

علينا نحن الذين آمنا بالمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أن نؤدي حق هذا الإيمان وأن نقيم أعلى معايير الحب والعشق للنبي ﷺ. علينا أن نراجع أنفسنا باستمرار: هل تتولد في قلوبنا نفس المشاعر التي كانت عند المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام؟ علينا أن نبذل الجهد المطلوب منا لإقامة وحدانية الله في العالم، وأن نكون مستعدين لكل تضحية من أجل رفع راية رسول الله ﷺ في العالم. وأن نكون مستعدين دائمًا لكل تضحية من أجل إقامة وحدانية الله في العالم، وألا نرتاح حتى نحقق الهدف الذي من أجله انضممنا إلى جماعة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام.

ندعو الله تعالى أن يحفظ كل فرد يشارك في جلسة قاديان، وكذلك يحفظ الذين يستمعون في بيوتهم، وأن يوفقهم جميعا للعمل الحقيقي بتعاليم الإسلام وإظهار الحب والعشق للنبي ﷺ، وأن يكونوا ممن يؤدون حق بيعتهم.

في هذا الوقت، تُقام جلسات سنوية في دول مختلفة حول العالم بالتزامن مع جلسة قاديان، وتُعرض صور بعضها. من بينها الجلسة السنوية في توغو، وفي مالي وهذا يومها الأخير، وفي بوركينا فاسو وهذا يومها الأخير أيضًا، وفي غينيا كوناكري وهذا يومها الأخير، وفي النيجر وهذا يومها الأخير، وفي السنغال وهذا يومها الأخير، وفي غينيا بيساو، وتُعقد الجلسة في الساحل الغربي للولايات المتحدة أيضًا.

كل هذه الجلسات السنوية تُعقد ويجتمع فيها الأحمديون لفهم رسالة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام والسعي لنشرها في العالم، وكذلك للسعي في إصلاح أنفسهم. نسأل الله تعالى أن يوفقهم جميعًا لذلك، وأن يعودوا من الجلسة بجميع البركات التي جاؤوا من أجلها. وفي هذا الوقت، حسب التقرير الذي بلغني من قاديان، هناك تمثيل لاثنين وأربعين دولة، والحضور ستة عشر ألفًا وواحد وتسعون (١٦،٠٩١) شخصًا، وهو حضور جيد بالنسبة لقاديان. ندعو الله تعالى أن يوفق الجميع للاستفادة من بركات الجلسة. والآن شاركوني في الدعاء.

***